تعلمت من ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(٦)

١٣/ ٧/ ١٤٣٦هـ

المعْلمُ السادس[1]: عنايته بالتحصيل العلمي لطلابه:

درجَ عددٌ من العلماء على إلقاء الدرس دون مناقشة، وربما سلك بعضُهم مسلك التعليق على كتابٍ ما، فإن ورد سؤالٌ من الطلاب وإلا مضى الشيخُ حتى ينتهي من كتابه، فلا يَدري مَن الذي فَهِم، واستوعب ممن ليس كذلك! ولم يكن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرتضي هذا المسلك أبدًا، بل كان يرى أن هذه طريقة عقيمة جدًّا!

وقد أكّد -حين سُئل عن وصيته للمعلّم- على أهمية مناقشة المعلّم للطلاب في جوابٍ طويلٍ، أقتطف منه هذه الجملة المعبّرة عن منهجه في

---

(١) أشرتُ فيما سبق إلى خمسة معالم مما تميزت بها شخصية شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي: (وضوح الهدف)، و(الثبات على المنهج والهدف الذي رسمه لنفسه)، و(العناية بالقرآن حفظًا وفهمًا وعملًا)، و(حبّه لنشر العلم واغتنام الفرص لتبليغ الشريعة)، و(التثبت في النقل والحكم)، وأتابع في هذا المقال ذِكر بعض تلكم المعالم.

هذه القضية بوضوح، حيث «مناقشة الطلاب فيما ألقاه عليهم سابقًا، أما أن يأتي يَقرأ الشيءَ عليهم قراءةً، ولا يدري مَن فهم ممن لم يفهم! ولا يناقشهم فيما مضى! فإن هذه الطريقة عقيمة جدًّا، لا تُثمر ثمرًا، ولا تكون نتيجتها طيبة»[1].

ومن صور عنايته بتحصيل الطلاب: حرصه على وضوح العبارة، وسهولة الأسلوب في الشرح، وإذا شعر الشيخُ أن بعض الطلاب لم يفهم سألهم، فإن لم يفهموا أعاد.

وكذلك حرصه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على غرس روح المناقشة للمسائل من غير فرض الرأي -فيما يمكن فيه النقاش- وكان أحيانًا يَطرح المسألةَ على الطلاب، والغالب أنهم ينقسمون إلى قسمين -كما هو الحال في أكثر الأحكام العملية- ثم إن الشيخ بعد ذلك يقول لهم: دعونا ننظر في دليل هؤلاء وهؤلاء، ثم يبدأ يناقش، ثم يرجِّح بناءً على ذلك التحليل والتفصيل للأقوال، فيقتنع الطالبُ حينئذٍ من سبب الترجيح، ويعتاد على هذه الطريقة.

لقد كان بإمكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يَعرِض الأقوالَ، ويرجّح، ثم يمضي في شرح المسائل -وهو من حيث إنهاء المتون أسرع للطالب- ولكنه لم يَفعل، وكان كثيرًا ما يردِّد في الدرس قاعدةً في هذا الباب، وهي: إذا رجّح الإنسانُ قولًا على قول؛ فلا بد مِن ذِكر سبب الترجيح، والإجابة عن دليلِ القول الآخر.

---

(١) كتاب العلم (١٠١).

وهذا الأســـلوب الذي انتهجه الشـــيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أسلوبُ الإقناع والمحاورة؛ اســـتفاد منه كثيرٌ من الناس، فضلًا على طلابه الذين لازموه فترةً من الزمن.

وقد كتب أحدُ الطلاب[1] -الذين درّســـهم شيخُنا في المعهد العلمي بعنيـــزة- مقالًا يتحدث فيه عن موقفٍ حصل له مع الشـــيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٨٠هـ تقريبًا، وخلاصة الموقف الـــذي ذَكَره أنه قال: «كنا ندْرس في الصف الأول المتوســـط في المعهد العلمي، وكان الناسُ في ذلك الوقت يتحدثون عن وصول الإنسان للقمر، هل هو ممكن أم لا؟ وهل الحديث عن هذه المســـألة ســـائغٌ شرعًا أم لا؟ فلما دخل علينا الشيخُ طرح علينا الســـؤال الآتي: هل تعتقدون أنهم ســـيصلون إلى القمـــر؟ قال الطلاب كلهم: لا! يقول الكاتب: إننا قلنا ذلك مجاملةً وهيبةً من الشيخ، وأكثرنا من داخل نفسه متحمّس للتصديق بهذا الخبر، يقول: إن الشيخ لم يعجبه هذا الجـــواب مِنّا، واقترَحَ علينا أن نُناقش الأمر؛ فشرع يطرح الأســـئلة علينـــا واحدًا واحـــدًا، وفي أثناء ذلك قام أحدُ الطـــلاب، فقال: نعم، يا شـــيخ، يمكن أن يصلوا، هنـــا توقّعنا أن يَغضب الشـــيخُ على الطالب، ويُعاقبه! غير أن الشـــيخ التفتَ إلينا، وسألَنا عن جواب زميلنا، وطلب منّا أن نُناقش قولَه، وهل أحدٌ منكم يوافقه على رأيه؟

لقد كانت الهيبةُ من الشـــيخ تجعلنا نؤكّد أن زميلنا قد أخطأ، ووهِم، عندها قال الشـــيخ: تريدون رأيي؟ فقلنا بصـــوتٍ واحد: نعم، ثم ذكر

(١) هو الدكتور عبدالله الغذامي.

الشـــيخُ رأيَه في المسألة... إلخ[1]، فيعلّق هذا التلميذُ قائلاً: لقد استفدتُ من هذا الموقـــف فائدةً عظيمة، وهي: التربية على الروح الحوارية، حيث يَفتح مجـــالًا للتفكير والتدقيق والتمحيص، ومشـــاركةِ كلِّ الأطرافِ في معالجةِ الإشـــكال، وتحريـــكِ عقولهم في البحـــث.. وللحديث صلةٌ إن شاء الله.

(١) مقـــال د. عبدالله الغذامـــي ١٦-١٧ في ملحق الأربعـــاء الصادر عن جريـــدة المدينة ٢٩/ ١٠/ ١٤٢١هـ.